

المواهب الشبابية في القرآن الكريم

إعداد: أ. د. حمزة مسعود الطوير

الأكاديمية الليبية الدراسات العليا

**المؤتمر العلمي الثاني لمركز البحوث
والاستشارات بجامعة غريان 2022/10/01م**

تقديم:

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على من امتدح المتميز من المؤمنين فقال " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " (1) صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه ومن انتهج منهجه واتبع سنته إلى يوم الدين. وبعد

فإن شباب الإسلام يواجه في أداء رسالته تحديات فكرية، واتجاهات عقدية، وآراء وأصوات متعددة ومتباينة تحتّم عليه التمسك بدينه، واستلهام المنهج الحق من نصوص الوحي ومعينه الصافي بما يكفل تطوير الذات وتنمية المدارك للإسهام في رقي الأمة وازدهارها.

ولعل من أبرز هذه التحديات الجمع بين حداثة العصر، وأصالة الفكر، والموازنة بين مرونة العقل، وثبات النص، وبين تطور الواقع، وقداسة الشرع، لاسيما في ظل تعاقب الحملات الفكرية والدعوات الغربية التي تثار-عبر العصور- لمحاولة تشويه حقيقة الإسلام، ونقد أفكاره والتشكيك في منابعه ومصادر تشريعه بنشر مفاهيم خاطئة تدعو إلى تخدير الشباب للبقاء على الجمود والتقليد، والتقاعص عن الإبداع والتفوق، على الرغم من أن مجتمع الإسلام قائم على التوازن في قيمه ومبادئه منذ نشأته، وتطور حضارته، بما يؤكد تنوع مكوناته، ورسوخ أصالته، وبما يؤصل في نفوس الشباب سمو الأهداف والغايات .

هذه الحملات تحدّ من الاجتهاد والتجديد، وتسعى لإيقاع الخلط في القضايا والدراسات الفكرية المعاصرة بين حداثة الواقع ومتطلبات التطور ومقاصد التجديد، وبين أصالة المنهج والفكر والعقيدة والاتجاه، بما يكفل تغييب العقول الشابة والطاقات المبدعة عن واقعية العصر ومواكبة التطورات التقنية والعلمية، ومن ثم تقع الأمة بين شاب مغال متطرف في أفكاره، مستبدّ بآرائه؛ يبدّع الآخرين ويفسّق ويكفر من خالفه من شباب المسلمين، وبين آخر استهواه التيار الحداثي يقف موقف العداء من الأصالة؛ ليتعدى على ثوابت الأمة، ويتناول على تراثها، ورموزها وعلمائها، ومفكرها باسم الحداثة والتفكير والتطور.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة أولاً إلى بيان توازن التصور الإسلامي، وشمول رسالته واستيعاب أحكامه وتشريعاته لجميع جوانب الحياة، وشؤون الدنيا والآخرة، ومن ثم

(1) - ابن ماجه - السنن، باب في القدر

تعزيز المفاهيم الصحيحة، والقيم الراسخة لدى فئة الشباب لقهر التحديات التي تواجهها وتعرقل مسارها، وتسيء إلى أصالتها وتحضرها معاً بما يسهم في الجمع بين أصالة الموروث وتوجهات الفكر الحداثي المعاصر لضمان تعامل علمي مؤطر مع مصادر التشريع، ومقاصده وفق النظريات العقلية التي يتم بها إدراك الثروة التشريعية والموروث الثقافي. كل ذلك من خلال التأمل في اهتمام القرآن الكريم بالمبدعين والمتفوقين؛ لتصحيح المفاهيم الخاطئة، والرد على الآراء المظلمة التي تهدف إلى هدم ثوابت الدين والعقل والعرف في المجتمعات الإسلامية.

حدود البحث

تتجلى معالم هذا البحث وحدوده في توضيح مدى اهتمام القرآن الكريم بالطاقات الشبابية من خلال سرد القصص المشتغل على العبر والهدايات التي تنير الطريق وترسم معالم المنهج العلمي الرصين أمام الشباب بما يدفعهم للعمل والابتكار والإبداع ويجمعهم على الوسطية بعيداً عن التطرف الفكري والآراء الهدامة. ولذا فإن

للبحث حدوداً زمنية ممتدة من عتاقة زمن التشريع وتشرف الأمة بنزول الوحي على نبيها ﷺ إلى حداثا الفكر المعاصر، وله وأخرى مكانية تحصره في البيئة الإسلامية على شساعة أطرافها، وحدود ذاتية تكمن في استكناه النص القرآني؛ لاستخلاص الدروس التربوية المؤثرة في السلوك الحياتي؛ للانخراط في التدافعات والتفاعلات الحياتية وما يتطلبه العصر من إتقان العمل والبذل والعطاء للارتقاء بمستويات المعيشة، ومن ثم يتركز الحديث عن فئة الشباب المعول عليهم في بناء الحضارات والارتقاء بالمجتمع.

وستجمع هذه الدراسة بين حقلين علميين مؤثرين في حياة الشباب، هما: الجانب التشريعي والجانب التربوي.

إشكالية البحث:

تطرح قضية التفوق والموهبة لدى الشباب عدة تساؤلات تجعل منها إشكالية في البحث، فهي قضية مجتمعية فكرية معاصرة تتناول رقي الأمم وتميزها برقي وتميز شبابها المعول عليهم في النهوض بها وإقامة صرح الحضارات فيها. ولعل السؤال الرئيس هنا هو: هل التفوق والمواهب سمات ثانوية بين شباب الأمة أم هي هدف منشود وغاية مبتغاة، يؤمل من خلالها إصلاح واقع الأمة والارتقاء بحياة الأفراد والمجتمعات.

ولضيق ساحة البحث وعدم اتساع مساحته قسمته على مبحثين: تحدثت في الأول عن معنى الموهبة وبعض مرادفاتها من الألفاظ التي تشاطرها اقتسام المعاني من حيث القوة الدلالية للمفردة اللغوية، وسقت في الثاني نماذج ممن تحدّث القرآن عن إبداعاتهم وتميّزهم؛ لأبيّن في خاتمة البحث أن مسألة التمييز والإبداع قضية تفرّضها طبيعة الإنسان وأسلوب عيشه القائم على التنافس والتدافع؛ لتلبية الحاجات الحياتية، وتحقيق الإشباع المادي والمعنوي وفق ما سنّه الله من التدافع في الحياة، وما وهبه من إمكانيات وطاقات تختلف من شخص لآخر.

المبحث الأول (في مفهوم الموهبة)

معنى الموهبة ::

قبل أن نلج في دلالة اللفظ وبيان معانيه يتعيّن علينا أن نبيّن أننا كأمة مسلمة نعي جيداً طبيعة العالم الذي نعيش فيه، والعصر الذي ننتمي إليه، فهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية والذرة واستخدام طاقاتها، وعصر العولمة والسرعة والعبور إلى الفضاء وهجر الكرة الأرضية، حيث رسمت ثورات القرن الماضي السياسية والصناعية والتكنولوجية والمعلوماتية خريطة جديدة للعالم المعاصر، فبدأ في صورة لم تخلُ من التناقضات والسلبيات التي نغصت حياة الأفراد قبل الأمم والمجتمعات، فرسمت إشكالات الأزمة الأخلاقية والتربوية أبرز معالمه وطالت تأثيراتها سلوك الأفراد في جميع مراحل نموهم، وبدأ الجميع متوجساً، لا يدخر جهداً في التأقلم مع متطلبات هذا العصر، ومواجهة تحدياته التي تفرض على الجميع التعامل بجدية أكبر لاستغلال الطاقات الشبابية وتوجيهها بعناية.

ويأتي في مقدمة ذلك حسن التعامل مع العقول الشابة الموهوبة ذات الإمكانيات الإبداعية التي تشكل المخزون الرئيس لأكبر ثروة طبيعية، هي أئمن من الثروات النفطية والخامات المادية إذا ما أحسن استغلالها.

ولا شك أن محاولات خلق التقدم التقني الذي اكتسح العالم تقوم على النبوغ العقلي والاهتمام بذوي المواهب والإبداع . ومن ثم فإن هذه الدراسة تنعم النظر في بعض القصص القرآنية للتعرف على سمات الشخصية وملكات الإبداع لدى الموهوبين الذين تحدّث القرآن عن مواهبهم ، وسحبها على المبدعين الذين تزخر بهم المجتمعات ويزدان بإبداعاتهم جيد الزمن، لاسيما أننا نعيش اليوم في عالم يتميز بالانفجار المعرفي والنمو البشري والتغيرات الثقافية وغير ذلك من الظواهر غير

المكتشفة، فلا يتسنى لنا فقط إعداد الشباب لمواجهة المتغيرات الغامضة في المستقبل من خلال تزويدهم بكمية كبيرة من المعلومات والمعارف، بل يتوجب تنمية طاقاتهم وتفجير مواهبهم والارتقاء بمستوى تفكيرهم المبدع ليكونوا قادرين على مواجهة تحديات المستقبل الغامضة، ورسم خريطة جديدة للعالم الإسلامي الممزق تتناسب ومستوى التطلعات المستقبلية، ويتحقق من خلالها قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾⁽¹⁾

وقبل استقراء سمات الموهوبين من الشباب يحسن بيان معنى السمة والموهبة والتميز وسبر أغوار الدلالات الاصطلاحية لهذه المفاهيم وغيرها مما يسهم في إيصال المعنى المراد إلى ذهن القارئ الكريم .

فالسمة: نزعة ثابتة نسبياً توجه سلوك الفرد وتصرفاته وهي الوحدات الأساسية للشخصية⁽¹⁾ أو هي " مجموعة من ردود الأفعال والاستجابات تتوحد بعضها مع البعض في معظم الأحوال لمعالجة مختلف المواقف البيئية." ⁽²⁾ فأى شيء يمكن الاعتماد عليه في التفرقة بين شاب وآخر يسمى سمة .

أمّا ما يوصف به الشاب الموهوب من ألفاظ كالمبدع والتميز والذكي والمتفوق فهي ألفاظ تدل على قدرة استثنائية لدى فئة معينة منهم في المجالات التي يقدّرها المجتمع، ويبرز فيها الجهد والإنجاز .

وللوقوف على معنى دقيق للموهبة والتفوق يتحتم الوقوف عند حدود هذا المصطلح والبحث في جذوره الاشتقاقية، فقد جاء في معاجم اللغة أن الموهبة تعني " قدرة استثنائية واستعداداً فطرياً غير عادي لدى الفرد، أما التفوق فيأتي مرادفاً للموهبة، فيكون بمعنى القدرة الموروثة أو المكتسبة سوى أكانت قدرة عقلية أم بدنية" ⁽³⁾.

وفي الاصطلاح عرّف العلماء التفوق بأنه: " القدرة على الامتياز في التحصيل" ⁽¹⁾ .

أمّا المتفوق فهو " من أظهر قدرة متميزة ومستمرة في أي ميدان من ميادين الحياة " ⁽²⁾ ومن ثم فإن التفوق التحصيلي هو " الامتياز في التحصيل بحيث يؤهل

(1) - آل عمران، الآية 110

(1) الوقفي- 1998 - ص590

(2) المشهداني- 1999 - ص77

(3) ينظر ابن منظور ، مادة (ف و ق)

(1) الزيات ، 1998م ، ص18، و جروان، 1999م ، ص43

الشباب مجموع درجاته لأن يكون من أفضل زملائه" (3) ولذا سمي الشاب المتحصل على مجموع درجات أعلى من المتوسط الحسابي بالمتفوق دراسياً.

ومن خلال مجموع هذه المعاني التي تشرح مفهوم التفوق فإن مهمة سبر أغوار الشخصية المتفوقة للوقوف على سماتها تعدّ من أهم المهام المنوطة بالعلماء والتربويين؛ لأجل النهوض بمستقبل الأمة واللاحق بركب الدول المتطورة، وهي من المسؤوليات الملقة على عاتق أبنائها الشباب، لاسيما ذوي الطاقات الفريدة والمبدعة. إذ إن المتفوقين هم دعائم المجتمع، ومورد الطاقة التي لا تنضب. وتعدّ مهمة العناية بهم ضرورة لكل أمة تنشد الرقي والتطور. ومن ثم أفردت المجتمعات والأمم في برامجها وخططها التنموية وقوانينها التربوية والتنظيمية فصلاً للعناية بهذه الشريحة وتطوير قدراتها وتفجير طاقاتها لرفع مستوى التقدم العلمي والتقني والمعلوماتي.

ونحن كأمة مسلمة تستمد تعاليمها من وحي السماء لابد لنا من العودة دائماً إلى الدستور المقدّس (كتاب الله) لنستلهم دوافع النفع ونسترشد بما فيه من حكم، ونعتبر بما ورد فيه من قصص يؤصّل للقضايا ويهدي للتي هي أقوم.

(2) مصطفى الإمام وآخرون- 1993- ص 82

(3) القاضي وآخرون - 1981- ص 426

المبحث الثاني (القرآن والموهبة)

الموهوبون في القرآن :

ثم إن بحث الإنسان الدائم عن فهم شمولي لما يحيط به ولذاته الوجودية ومحاولته تفسير كل الظواهر التي تواجه ديناميكية الوجود لن توجد بشكل متكامل إلا من طريق الدين الذي يجد فيه العقل تفسيراً لكل تساؤلاته، وتجدر فيه الشخصية توازنها وتوافقها.

فالمأمل في كتاب الله لا يعدم أن يلحظ أن التفوق الذهني والتفاوت في المواهب سمة فطرية جعلها الله وأراد لها أن تكون من خصائص الإنسان الذي أنيطت به مسؤولية الاستخلاف في الأرض وإعمار الكون. فالاهتمام بالمبدعين واجب ديني، وقضية مهمة دعت إليها الشرائع والأديان تصريحاً وتلميحاً، فأثنى الله على يعقوب عليه السلام لما كان يتميز به من دراسة ونظر فاحص في الأمور، وهي سمة للمتفوقين وموهبة قلما وجدت في أوساط العامة فقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ قال صاحب التحرير والتنوير ((هُوَ ثَنَاءٌ عَلَى يَعْقُوبَ عليه السلام بِالْعِلْمِ وَالتَّدْبِيرِ، وَأَنَّ مَا أَسَدَّاهُ مِنَ النُّصْحِ لَهُمْ هُوَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ))²

وذكر الله في محكم التنزيل ما كان عليه سليمان عليه السلام من قوة الشخصية وما أودع الله فيه من ملكات التفكير وحدة الذكاء، وتلك أهم خصائص الموهوبين، إذ الموهوب بسبب نمو مداركه العقلية وسرعة اكتسابه المعرفي تتعدد مجالات اهتماماته ويتميز بقدرته على حل القضايا والمعضلات التي تنشأ فيقضي في المسائل بما ينم عن تميزه العقلي وتفوقه الذهني. جاء في سورة الأنبياء ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي

1 - سورة يوسف: الآية 68

2 - ابن عاشور ، 13 / 24

الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿١﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۝١﴾ فقد شهد الله لسليمان بالنبوغ والتفوق العقلي، وهو ما عبّر عنه الشنقيطي بقوله ((إن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده ، ولم يستوجب لوماً ولا ذمّاً بعدم إصابته))²

ولئن كان سليمان عليه السلام مشهوداً له بالتفوق في العلوم النظرية والفقه والقضاء فإن أباه داود عليه السلام كان يتّسم بالإبداع والابتكار الحرفي الصناعي، أو ما يسمى بالتميز في الإنتاج الإبداعي، فكان على درجة عالية من الإبداع والإتقان في صناعة الدروع والتحصينات الحربية التي كانت تمثّل أهم الصناعات وأرقاها في ذلك الحين، وربما تضاهي ما توصلت إليه الآن عقول التصنيع الحربي من ترسانات. نلاحظ ذلك جلياً في قوله تعالى ﴿ وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾³ فالمستفاد من هذا النص القرآني أن الموهوبين يتميزون بالميل الشديد إلى مهام أكثر صعوبة وتعقيداً، تكفل لهم قدراً عالياً من الحرية والاستقلالية في التفكير، وتتحدى مواهبهم واستعداداتهم. ومن ثم كان طلب الشكر في الآية دليلاً على عظم النعمة، والثناء على الصنعة دليلاً على تميّز الصانع.

إن القدرة الداخلية على تمييز الخير من الشر والحسن من الأحسن تعد أحد الأبعاد المهمة للفطرة في سيكولوجية الإنسان وسمة من سمات النباهة والتفوق؛ لاسيما عند الشباب، فمن ذلك تصوير القرآن لأثر القيمة الإدراكية في قصة إبراهيم عليه السلام إذ أدرك بفطرته أن هناك إلهاً قادراً مسيراً يجب البحث عنه ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾⁴ لَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ إن المستنتق لهذه الآيات لابد أن يقف على سمات وخصائص تميّز بها إبراهيم عليه السلام إذ تفضل الله عليه بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها، فكان ينكر الشرك ويطلب اليقين بالتفكير والنظر في الآيات والاستدلال بالحدوث على وجود الصانع الحكيم، وهي سمة المتفوقين وسنتهم في التدريج في التربية والتعليم، لاسيما إن كان الأمر يتعلق بإنكار الشرك على أهله ووجوب البراءة منه، وعدم إقرارهم على ما هم فيه ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء .

فقد رسمت هذه الآيات في صورة ناطقة استدلال إبراهيم بالحدوث على وجود الصانع الحكيم، حيث واجه عبّاد الكواكب والأصنام من قومه بالحقيقة التي أراد أن

1 -الآيتان 78 - 79

2 - الشنقيطي، أضواء البيان ، 4 / 169

3 - الأنبياء ، الآية 80

4 - الأنعام ، الآيات 76 - 78

يوصلهم إليها، فقال " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً " لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم.

وقد ينتاب ذوي المواهب من الشباب شعور بالاكْتئاب والتشاؤم بما لديهم من حساسية مفرطة تجاه مشكلات المجتمع، والبيئة المحيطة بهم، ويعتريهم شعور وجداني بالمسؤولية الأخلاقية، لما لهم من المشاعر والعواطف تجاه الوسط الذي يعيشون فيه، فيفكرون بدقة وعمق فيما يجري حولهم من أحداث ومشكلات، وفيما يتهدد المجتمع من المخاطر، ويشعرون بالمسؤولية الأخلاقية تجاه تغيير المجتمعات إلى الأفضل من خلال إصلاح سلوك الأفراد. ولعل في سورة الأعراف ما يؤكد هذا، إذ يحكي القرآن على لسان أحد الذين اصطفاهم الله لإبلاغ رسالاته إلى الناس، وميزهم بمواهب خاصة تؤهلهم لشرف الرسالة وتحقيق ما يناط بهم من مهام الهداية الاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات.

فقد صَوّر القرآن الكريم حال نبي الله صالح عليه السلام وهو يتأسى على قومه الذين عتوا عن أمر ربهم وتمردوا عن اتباع رسالته، وخرجوا عما هو مألوف من القيم الانضباطية والأخلاق الأدمية، وارتكبوا أرذل الفواحش، فهجروا النساء وركنوا لإتيان الذكران من العالمين ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾¹ بعد أن أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين

فالذي يوحى به هذا النص أن انعدام تطبيق القيم الأخلاقية في السلوك الشبابي المجتمعي يسهم في تكون الضغوط النفسية والاكْتئابية لدى الموهوبين منهم؛ لما يتميزون به من أخلاقيات ومثل تدفعهم إلى الانفتاح على تجارب الآخرين ومعايشة معاناتهم والشعور بالآلامهم وآمالهم².

إن ما يتميز به الموهوبون بحكم تكوينهم النفسي من التمرد على القيود والنظم العرفية التي تكبح جماح النفس وتكبّل حركاتها يسهم في نشوء السأم والملل في نفوسهم. حيث إن شخصية المتفوق وأنماط تفكيره تجعله أقل اكتراثاً بالأعراف والنظم الجامدة فلا ينصاع للتعليمات الصارمة، ولا يرتضي تدخل الآخرين في شؤونه.

نلاحظ ذلك جلياً فيما دار بين الخضر وموسى عليه السلام من حديث، إذ قال موسى للخضر يستعطفه "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً" أي مما علمك الله رشداً يذلني على الحق وتحصل به الهداية فأجابه " إنك لن تستطيع معي صبراً "

1 - الأعراف، الآية 79

2 - انظر ليندا سيلفرمان ، 1993م

لأنه يرى منه أموراً لا يقره عليها ولا بد للخضر أن يفعلها وليس بوسع موسى الصبر عليها ، ومن ثم علل الخضر سلوك موسى حيال ما سيرى بقوله ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ أي علماً كاملاً . إذ كان الخضر قد تميز بموهبة وعلم خاص ليس لدى موسى منه أي سبب. جاء في التحرير والتنوير ((وهذا العلم الذي أوتيهِ الخضر هو علم سياسة خاصة غير عامة تتعلق بمعينين لجلب مصلحة أو دفع مفسدة بحسب ما تهيئه الحوادث والأكوان لا بحسب ما يناسب المصلحة العامة))¹

إن نظريات العلم الحديث تؤكد أن الموهوب يتميز بنمو مداركه العقلية وسرعة اكتسابه المعرفي وتعدد مجالات اهتماماته وتنوع ميوله، فيتميز بالشغف المعرفي والسعي وراء كسب المعلومة من خلال المغامرة والتساؤل والاستكشاف والتجريب؛ لما له من قدرة على تجاوز الخطوات المعتادة في تسلسل التفكير العادي، والقفز إلى معالجة التفاصيل الدقيقة للموضوع المطروح، والتفكير فيما وراء الأشياء .

وقد سبق القرآن الكريم إلى تأكيد هذه الخصائص، في آيات أخر من السورة نفسها، حيث يسوق في أسلوب فريد قصة رجل مبدع طاف الأرض مشرقها ومغربها، ثم ابنتى سداً منيعاً ربما عجزت التقنيات الهندسية الحديثة عن إنجاز مثله، فهو غاية في الإتقان والإبداع ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾² قال القرطبي في إيضاح معنى الآية والتعريف بهذا المبدع المتميز ((وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤت غيره ، فمدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق. قال ابن إسحاق : حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح. قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية فنسبت إليه))³

ولقد ذكر أبو السعود في تفسيره شيئاً من مظاهر الدقة والمهارة التي تميز بها ذو القرنين في إنجاز السد الذي ابتناه، فقال: ((حَفَرَ الأساسَ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زُبر الحديد بينها الحطبُ والفحم حتى سدَّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان مائة فرسخ))⁴

إن المنعم للنظر في هذه القصة يلحظ ما فيها من وصف دقيق للمهارات العملية وإتقان الصنعة وتترأى له شخصية ذي القرنين الشاب الفتى الموهوب بما تحمله من الخصائص والسمات، إذ إنه يتمتع بطاقات غير محدودة وحيوية فائقة، ومستوى وفير من النشاط، ولديه دوافع قوية للتعلم والعمل، وهو قادر على الانغماس في العمل لفترات طويلة، كما يتمتع بيقظة عقلية وفضول متزايد وشغف بالاستكشاف والتجريب " فأتبع سبباً "

1 - ابن عاشور، 15 / 368

2 - سورة الكهف ، الآية 83 -، وقرأ إن شئت الآيات حتى 97

3 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003، 11 / 45

4 - إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 4 / 288

وقد يعتري المتميزين من ذوي المواهب شعور بالاكنتئاب والتشاؤم بما لديهم من حساسية مفرطة تجاه مشكلات المجتمع، والبيئة المحيطة بهم؛ لما يعتريهم من شعور وجداني بالمسؤولية الأخلاقية، وما لهم من المشاعر والعواطف تجاه الوسط الذي يعيشون فيه، فيفكرون بدقة وعمق فيما يجرى حولهم من أحداث ومشكلات، وفيما يتهدد المجتمع من المخاطر، ويشعرون بالمسؤولية الأخلاقية تجاه تغيير المجتمعات إلى الأفضل من خلال إصلاح سلوك الأفراد. ومن ثم يسهم انعدام تطبيق القيم الأخلاقية في سلوك المجتمع في تكون الضغوط النفسية والاكتئابية لدى المتفوقين لما يتميزون به من أخلاقيات ومثل تدفعهم إلى الانفتاح على تجارب الآخرين ومعايشة معاناتهم والشعور بالأمهم وآمالهم¹.

فحينما يسوق القرآن مثل هذا القصص الذي ينبئ بالدقة والإحكام وجودة الصنعة والمهارة في أداء الأعمال فهو يشيد بمن أوتوا حظاً من الموهبة والإبداع من الشباب لتحفيز غيرهم لمحاكاتهم والافتداء بهم في تأصيل المعارف العلمية والتربوية والنفسية التي تمثل انعكاساً لأصالة الأمة وتعبيراً عن خصوصياتها الثقافية والقيمية التي تنفتح على الآخر أخذاً وعطاءً، ولا تقلده تقليداً أعمى أو تذوب فيه؛ إذ لا فرق بين حافظ لتراث أسلافه وناقل لإبداعات غيره، فكلاهما يمتح من ثقافة الذاكرة، ولا يرد ثقافة الإبداع، ولا يعد نفسه لحياة مستقبلية، ومن ثم فإن من مقاصد القصص القرآني أن يكون الشاب المسلم الموهوب مبدعاً متألقاً في علمه وأخلاقه ومعاملاته واختراعاته التي تبنى على ركائز إيمانية قوية وأسس سليمة تستند إلى أصالة الأمة المحمدية وعمق تاريخها وتمسكها بكتابها وسنة نبيها.

كما أن هذه النماذج وغيرها مما ساقه القرآن تؤكد أن الإبداع موهبة - موروثة أو كسبية - لدى بعض الناس ممن لهم استعداد خاص لتغيير مجريات الأحداث وخلق الأفضل، إذ إن نزعة الاختراع نزعة فطرية، ناشئة من الرغبة الدائمة في التحسين والسعي نحو الأفضل، وقد أودعها الله في الفطرة من أجل أن يسعى الإنسان دائماً إلى الارتقاء بحياته إلى المستوى التحسيني متجاوزاً حدود الضرورات والكماليات. فمن أجل تحسين الحياة وتجميلها ليصل إلى درجة الإحسان يخترع الإنسان على الدوام أدوات ووسائل جديدة لتلبية الدوافع الكامنة داخل النفس.

إن فلسفة الاهتمام بالموهوبين وسبل رعايتهم والعناية بهم يجب أن تستند إلى معايير إسلامية لا تقوم على إعمال العقول وتشجيعها فحسب، وإنما تعتمد على القيم الأخلاقية والاجتماعية للموهوبين والمتفوقين؛ لتستغل هذه المواهب والإبداعات في إعمار الأرض وسعادة الإنسان وحريته وتلبية احتياجاته، ومن ثم كان التعليم والبحث العلمي يمثلان أداة تصنع التقدم ويقع عليها العبء الأكبر في تحمل المسؤولية والأمانة في مجال الكشف عن الموهوبين ونشر ثقافة الإبداع التي تهتم

1 - انظر ليندا سيلفرمان ، 1993م

بالكيف والجودة ونوعية التحصيل والتعليم ومخرجاته أكثر من التركيز على الكم ورداءة نواتجه .

إن البحث العلمي والاستثمار في الثروة البشرية والكشف عن الموهوبين فضلاً عن كونه واجباً دينياً مقدساً يعدّ التزاماً وطنياً وأخلاقياً، وظاهرة حضارية تفرضها مستجدات العولمة والتحدي العلمي والتقني الحديث ودليل على وعي الدولة بمؤسساتها المختلفة لاسيما التعليمية منها وإدراكها لقيمة البحث العلمي وأهمية العقول البشرية .

وبالرغم من أن اكتساب المعلومة واستيعابها سواء داخل المؤسسات التعليمية ودور المعرفة أو خارجها يعدّ أمراً مهماً في كل حقول المعرفة. فإن من غير المسلّم به أن تتمحور مهمة المؤسسات التعليمية والتربوية حول هذا الهدف بالدرجة الأولى لما يترتب عليه من نتائج وخيمة تتجلى في صوغ الطالب بقالب معين ذي نسق محدد ومغلق، ومن ثم إقفال باب التخيل والمخاطرة والمغامرة الفكرية، مما يؤدي إلى إعداد أفراد من الشباب سلبيين غير واثقين من خبراتهم، وليس لديهم القدرة على البحث الايجابي؛ لأنهم مبرمجون تجاه قيم محددة وأهداف معينة تتناسب مع نموذج حياة يُعدّون لها تتسم بالروتين والمناشط المتكررة، وبذلك يتم تحويل المتميزين من شباب زاخر بالخيال والنشاط والتلقائية إلى مسجلين للمعلومات ذوي شخصيات مترددة مضطربة الفكر والسلوك⁽¹⁾

إننا نتأمل أن يشكل هدف العناية بالشباب المتعلمين في المجتمع العربي والإسلامي ركناً أساسياً تبني عليه الأنظمة التعليمية والخطط التنموية استراتيجياتها من أجل استثمار هذه الطاقات البشرية وتوجيهها بشكل يعود بالنفع للأفراد والمجتمعات على حد سواء.

(1) الطعان- 2007- ص 119

نتائج البحث :

تلك بعض سمات المتميزين التي أثبتتها القرآن الكريم حاولت في هذه الدراسة الموجزة الإتيان عليها؛ لأخلص منها لأهم النتائج التي أجملها في الآتي:

- إن سبر أغوار الشخصية الشبابية المتفوقة، والوقوف على خصائصها وسماتها واجب مقدس يتعين على علماء الأمة وباحثيها؛ لأجل دعم هذه الشريحة، وتوظيف طاقاتها في رقي المجتمع وصنع الأمجاد الحضارية ومواكبة التطورات العصرية.

- إن التفوق والموهبة سمة فطرية وخصيصة من خصائص الشباب صرّحت بها الأديان ودعت إليها حاجة الناس المتزايدة لأجل إعمار الكون وأداء رسالة الاستخلاف في الأرض.

- إن شخصية الشاب المتميز موهوباً أو متفوقاً تتسم بخصائص تغاير ما عليه عامة الناس كالنزعة الكمالية، والحساسية المفرطة، وقوة المشاعر والعواطف ، مما يسهم في عدم فهم الناس لهم، ويستجلب الاضطرابات السلوكية في حياتهم.

*** وختاماً** فإننا نوصي بالاهتمام المتزايد بالشباب المتفوقين والموهوبين لكونهم أهم الدعامات التي تقوم عليها الحضارات، ومركز الإشعاع الفكري في الأمة . ومن ثم يتوجب استيعابهم وتفهم خصائصهم والتعامل معهم وفق طاقاتهم وقدراتهم .

كما نوصي بإيقاظ المواهب وملكات التفوق والإبداع في شباب المجتمعات العربية والإسلامية والكشف عنها والاهتمام بها ورعايتها وتوفير البيئة المدعمة والمحفزة لها مع ضرورة تشجيع الثقافة التي تعد التميز والتفوق والنبوغ والاصطفاء آية من آيات الله يجب رعايتها وتشجيعها والتهيؤ لها ، لا طمسها أو تجاهلها.

والله من وراء القصد

المصادر

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة المنورة.

1- الأشول ، عادل عز الدين . 1997 . الخصائص الشخصية للطفل الموهوب، المؤتمر الثاني للطفل العربي الموهوب .

2- الإمام، مصطفى محمود وآخرون. 1993. علم نفس الخواص. وزارة التعليم والبحث العلمي . جامعة بغداد: العراق.

- 3- جروان، فتحي عبد الرحمن. 1998 . الموهبة والتفوق والإبداع. ط2. دار الكتاب الجامعي.
- 4- الحروب، أنيس. 1999 . نظريات ومراجع في تربية المتميزين والموهوبين. دار الشروق:
- 5- الزيات، فتحي مصطفى. 1998 . الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي المعرفي . دار النشر للجامعات: القاهرة.
- 6- الشاذلي، عبد الحميد محمد. 1999. الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية. ط1. المكتب العلمي للنشر والتوزيع.
- 7- ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، 1997م ،
- 8- عبد الغفار، أحلام. 2003. الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة. ط1. دار المعرفة الجامعية: القاهرة.
- 9- القاضي، يوسف مصطفى وآخرون. 1981. الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي. ط1. دار المعارف: القاهرة.
- 10- ابن ماجة محمد بن يزيد – السنن ، طبعة جمعية المكنز ،
- 11 - المشهداني، وجدة عواد. 1999. دراسة مقارنة لبعض سمات الشخصية بين طلاب إعدادية المتفوقين وطلاب الإعدادية العامة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد
- 12- منصور، عبد الحميد احمد و أبو عبادة، صالح بن عبد الله. 1997. الشخصية الإنسانية والهدي الإسلامي. ط1. دار غريب للطباعة والنشر.
- 13- ابن منظور محمد، لسان العرب ، دار صادر، بيروت
- 14- الوقفي، راضي. 1998. مقدمة في علم النفس. ط3. دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 15- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض
- 16 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 17- الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد.